الباب الثالث

قالوا عن الأغنية الشعبية

في مقالته (غناء الأعراس ـ في الكاظمية ـ) ، التي نُشرت بمجلة التراث الشعبي «العدد الخامس/السنة الخامسة ـ ١٩٧٤م .بغداد ، العراق» ، أورد **مهدي حمّودي الأنصاري** أراء وأقوال بعض المهتمّين بالأغنية الشعبية والدارسين لها ، ننقلها هنا كما هي ، لما لها ـ في سياقها العام ـ من أهمية ملحوظة ، قد تُضيف إلى خلفية ومعلومات القارئ بعض الإلمامات الأخرى ، وتمهد الطريق أمامه لاستيعاب ما سيُعرَض بين يديه من جوانب هذه الدراسة :

«يُعرِّف (**ألكسندر كراب**) الأغنية الشعبية ، بأنها قصيدة شعرية مُلحَّنة ، مجهولة الأصل ، كانت تشيع بين الأميين والأزمنة الماضية ، وما تزال حية في الإستعمال .

ويصف (**هانز مورز**) الأغنية الشعبية بأنها الأغنية التي قام الشعب بتعديلها وفق رغبته ، بعد أن أصبح يمتلكها امتلاكاً تاماً .

ويؤكّد ـ الباحث الروسي ـ (**بوليكافسكي**) أن الشعب هو صاحبها ومؤلفها ، وينفي أن يكون ترديد الأغنية أو شيوعها فحسب ، هو الذي يُضفي عليها صفة الشعبية . فيذكر أن الأغنية الشعبية هي الأغنية التي أنشأها الشعب ، وليست هي الأغنية التي تعيش في جو شعبي .

أما (**جورج هرتسوج**) فيقول أن الأغنية الشعبية هي الأغنية الشائعة أو الذائعة في المجتمع الشعبي ، وأنها تشمل شعر وموسيقى الجماعات والمجتمعات الريفية ، التي تتناقل أدابها عن طريق الرواية الشفهية ، دونما حاجة إلى تدوين أو طباعة .

ويقف (**ريتشارد فايس**) إلى الجانب المقابل للجانب الذي يقف فيه (**بوليكافسكي**) ، إذ يرى أن الأغنية الشعبية ليست بالضرورة ـ هي الأغنية التي يغنّيها الشعب ، والتي تؤدّي وظائف يحتاجها المجتمع الشعبي ـ وعلى ذلك يمكننا أن نقول أن الأغاني الشعبية ، هي حصيلة ذلك التراث من الأغاني الذي تعرَّض للتغيير والتعديل ، أثناء انتقاله بطريق المشافهة .

ويضع (**د . أحمد مرسي**) تعريفاً علمياً للأغنية الشعبية بحيث تُميَّز عن غيرها من الأغاني الشائعة :

أولاً : أن الأغنية الشعبية يجب أن تكون ـ وهي كذلك بالفعل ـ شائعة ، ولكننا يجب أن نحترز هنا بأنه ليست كل أغنية شائعة ، يجب أن تكون شعبية بالضرورة .

ثانياً : أن الأغنية الشعبية تبلغ أوج إزدهارها في المجتمعات الشعبية ، حيث يجد لها نَصّ

مدوَّن ، سواء كان هذا النص شعرياً أم موسيقياً .

ثالثاً : إن انتقال الأغنية الشعبية عن طريق الرواية الشفهية ، قد أوجد نصوصاً عديدة للأغنية ذاتها ، في إطار المجتمع الواحد ، ومن ثم فهي تتميز بأن لها أكثر من شكل ، وأنها واسعة الإنتشار . ذلك أن اللحن يدخل هنا كعامل مساعد يذلل كثيراً من العقبات ، ويزيل كثيراً من الحواجز التي تصادف الأغنية أثناء انتشارها .

رابعاً : إن سمة المرونة التي تتسم بها الأغنية الشعبية ، والتي تساعدها على أن تظل محفورة في ذاكرة الناس ، وأن تتعدل باستمرار لمواجهة الأنماط الجديدة في الحياة والتعبير ، من أهم الخصائص التي يجب الإلتفات إليها .

خامساً : الأغنية الشعبية أكثر محافظة على الأسلوب الموسيقي الذي تستخدمه بالقياس إلى غيرها من الأغاني .

سادساً : إن أسماء الذين ألّفوا الأغاني مجهولة تماماً عند المغنّين ، فيما عدا المحترفين منهم ، الذين يَكتُب لهم مؤلّفون ـ معروفون بالنسبة إليهم ـ أغاني ومواويل خاصَّة بهم .

سابعاً : إنه على الرغم من الإنتقال الشفاهي والجهل بالمؤلّف ، اللذين تتصف بهما الأغنية الشعبية عامَّة ، إلا أنه لا يمكن الجزم بعدم وجود مؤلّف معيَّن أو نَصّ مدوَّن لبعض الأغاني الشعبية .

ثامناً : لا يمكن اضفاء صفة الشعبية على الأغاني التي أبدعها فرد من الأفراد ، ثم ذابت في التراث الشعبي الشفاهي للمجتمع . فقد دلّت الدراسات الحديثة على أن دور الجماعة ليس ابداع الأغنية بقدر ما هو إعادة لهذا الإبداع ، فالشعب ككل ـ عملياً ـ لا يستطيع على الإطلاق أن يخلق شيئاً ، وإنما يأتي الخلق والإبداع دائماً من شخص فرد ثم يتبنى الشعب ابداعه ، وقد يعدل فيه أو يغير ، ومن ثم يُنسَب إلى الشعب بعد ذلك ، ويُنسَى المبدع الأصلي ـ المؤلّف ـ تماماً . . .» .

وإلى تعريف الأغنية الشعبية أيضاً ، يخلُص الدكتور **عبد الله السباعي** في دراسته عن (تراث الأغنية الشعبية في ليبيا) ، إلى حوصلة تعريف الأغنية الشعبية ، فيشير إلى أن « . . . الأغنية الشعبية عموماً ، كما يراها دارسُو علم المأثورات الشعبية ، هي : ذلك النوع من الغناء الذي شاع وانتشر في الماضي ، ولا يزال حياً ومتداوَلاً ، وانتقل شفاهة عبر الأجيال المتعاقبة ،

التي تبنّته واصبح ملكاً لها ، بعد أن قام بتأليفه وتلحينه فنانون مجهولون . وقد تقوم هذه الأجيال بادخال التعديلات الضرورية ، سواء بالحذف والإضافة والتغيير ، ليتناسب مع تغيُّر المفاهيم والاعتبارات الاجتماعية من جيل لآخر ، أو حين انتقاله من مكان لآخر . وإلى جانب هذه التعديلات والتغييرات الداخلية ، فإن الأغنية الشعبية قد تتعرَّض لبعض المؤثِّرات الخارجية ، نتيجة لاحتكاكها بتراث الشعوب المجاورة أو الوافدة . . .»[1] .

---

١) د . عبد الله مختار السباعي (تراث الأغنية الشعبية في ليبيا) . مجلة تراث الشعب . المجلد (١) العدد (٤) مسلسل (٢٥) ـ ١٩٩٠م . طرابلس ـ ليبيا .